مفهوم الفرقة
عند العلماء المسلمين

د. مجيد الخليفة

مفهوم الفرقة
عند العلماء المسلمين

الطبعة الأولى

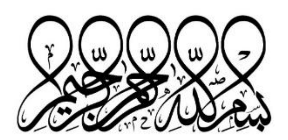
١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

بغداد

مفهوم الفرقة

عند العلماء المسلمين

د. مجيد الخليفة



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطاهرين وصحابته الطيبين ومن اهتدى بهديه وسار خلف خطاهم إلى يوم الدين

أما بعد :

فإن مصطلح (الفرقة) من أكثر المصطلحات إثارة للجدل في التاريخ الإسلامي ، ذلك أن هذا المصطلح باطاره العام متعدد المفاهيم ، ويخضع في كثير من الأحيان لتأثيرات اللحظة التي يوجه فيها نحو طائفة معينة في أي مجتمع مسلم ، وهو بكليته السلبية أصبح ذا منحى معقد صعب الفهم والتحديد ، ورغم هذا كله فهو يخضع لقيود شرعية جاءت في الكتاب والسنة ، لذا فإن اسقاط هذه القيود يعد أمراً مهماً في فهم هذا الاصطلاح

بصورة عامة ، وما هذه الورقات التي نضعها بين يدي القارئ إلا محاولة للفهم ، متجردين قيد المستطاع من الأهواء الزمنية والمكانية التي تحكمت كثيراً بهذا المصلح .

ووفقاً لهذا فإن هذا الكتيب يضم مبحثين أساسيين :

الأول : مفهوم الفرقة في الاصطلاح الشرعي، وفيه حاولانا تعريف الفرقة لغة واصطلاحاً ، ومن ثم حولنا فهم (الفرقة) في القرآن الكريم ثم السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

الثاني : الفقة عند كتّاب الملل والنحل ، وتناولنا كل من : الاشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين) ، والبغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) ، وابن حزم الظاهري في كتابه المشهور (الفصل في الملل والاهواء والنحل) .

ونحن في كل هذا لا ندعي استيعاب هذا المصطلح ، فالأمر في واقع الحال بحاجة إلى دراسة معمقة ، يرجع فيها إلى مصادر أخرى شرعية وتاريخية ، ويعرج فيها أيضاً على أزمنة متعددة لاستيعاب الفهم الكلي لهذا المصطلح .

والله من وراء القصد

المبحث الأول
مفهو الفرقة في الاصطلاح الشرعي

تعريف الفرقة :

كلمة (الفرقة) من حيث مدلوها اللغوي غالباً ما تدل على الاختلاف والافتراق ، قال ابن منظور : ((مصدر الافتراق ... وفارق الشيء مفارقة وفراقاً : باينه ، والاسم الفرقة وتفارق القوم : فارق بعضهم بعضاً ، وفارق فلان امرأته مفارقة باينها ، والفرق والفرقة والفريق الطائفة من الشيء المتفرق والفرقة طائفة من الناس ، والفريق أكثر منه))[1] . فمن حيث اللغة فإن (الفرقة) تعني طائفة من الناس ، ولا بد أن يكون هناك شيئاً يجب أن يميز هذه الطائفة حتى دعيت به ، كأن

---

(١) لسان العرب ، مادة فرق : ١٠/ ٣٠٠ .

تكون مقالة أو مذهب أو رأي .

أما من حيث الاصطلاح فالفرقة تعني كل طائفة من الناس دعيت إلى معتقد معين[1] ، بحيث عرفت به وتميزت عن غيرها ، ويمكن القول إن هذا المصطلح من حيث مدلوله الاصطلاحي ألصق بأصول العقيدة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار تفرق الناس فيه ، ولا يدل في معظم الأحيان على الافتراق في فروع الدين ، ولذلك نقول : فرقة الخوارج أو فرقة المعتزلة ؛ لأن خلاف أهل السنة مع هذه الفرق كان بالمعتقد ، في حين أننا نطلق مصطلح (مذهب) على الشافعية أو الحنفية ، ولا يصح أن نقول (فرقة الشافعية) أو (فرقة الحنفية)

---

(١) ينظر : ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٢/ ٢٦٣ ؛ ابن الجوزي ، تلبيس إبليس : ص ٢٨ .

لأن الخلاف بين المذاهب كان في فروع الدين لا في أصوله .

من هنا يمكن القول إن تعريف العلماء لمصطلح (الفرقة) له علاقة بالمغزى الاعتقادي لهذه للطائفة المتعينة ، وقد كان ابن حزم أكثر دقة من غيره عندما فرّق بين مصطلح (الفرقة) الذي يشمل المسلمين وغيرهم ، وبين مصطلح (النحلة) إذ أنه استعمل المصطلح الأخير للدلالة على فرق المسلمين - أو بتعبيره - نحلهم ، في أكثر دقة وموضوعية ؛ لأن فيها دلالة على الانتحال : وهو نسبة القول إلى غير قائله ، ومنه انتحل فلان شعر فلان ، وكأن هذا الشيء يعني اعتقاد الشيء

والتمسك به وهو على غير هدى[1] ، وقد تبع الشهرستاني ابن حزم في استعمال هذا المصطلح للتفريق أيضاً بين المسلمين وغيرهم ، فسمى كتابه (الملل والنحل) .

أما عبد القاهر البغدادي فقد تمسك بمصطلح الفرقة وإليه يشير كتابه (الفَرْق بين الفِرق) لتعميمه على فرق المسلمين ، وقد يكون عذر البغدادي في ذلك هو أنه لم يضمن كتابه مقالات لغير المسلمين ، فاكتفى بإطلاق هذه التسمية على كتابه ، وفي فعل البغدادي موضوعية يحمد عليها ، وجمع محمد بن عمر الرازي (ت ٥٤٤هـ) بين فرق المسلمين والمشركين ، فسمى كتابه (اعتقادات

---

(١) مجيد خلف ، ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية : ص ١٠٩ .

فرق المسلمين والمشركين) .

ويمكن القول أخيراً إن مؤلفات المسلمين في حقل الفرق والملل يعطينا تصوراً متبايناً عند هؤلاء العلماء في تحديد الإطار الدقيق لهذه الكلمة ، لكن يمكن القول إنها من حيث المضمون لها معنى مشترك متفق عليه ، يعتمد على البعد العقائدي للكلمة من جهة ، وعلى الغلو في تعميمها من جهة أخرى .

الفرقة في القرآن الكريم :

لقد أشرنا في تعريفنا لكلمة (الفرقة) إلى أنها تعني الافتراق ، وقد جاءت في هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [البقرة] قال القرطبي في تفسير هذه الآية : « فرقنا : فلقنا فكان كل فرق كالطود العظيم : أي الجبل العظيم، وأصل الفرق : الفصل »(١) ، فجاءت الفرقة هنا بمعنى الفصل بين الشيئين ، وقد سمي القرآن فرقاناً لأنه يفصل بين الحق والباطل ، قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان] ، وسمى الله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٣٨٧ .

تعالى يوم بدر يوم الفرقان لأنه اليوم الذي فرّق الله فيه بين الحق والباطل ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ [الأنفال : ٤١] ، وأطلقت هذه التسمية على الملائكة أيضاً في قوله تعالى : ﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴾ [المرسلات:٤] والسبب في إطلاق هذه التسمية لأنها بنزولها تفرق بين الحق والباطل[1] .

وقد يأتي الفرق بمعنى الفصل بين الشيئين ، وعليه يدل قوله تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٦] فقد روي عن ابن عباس أن الله تعالى فصل القرآن

(١) تفسير ابن كثير : ٤/ ٤٦٠ .

من اللوح المحفظ إلى بيت العزة ، ثم نزل مفرقاً منجماً [1].

لكن المعنى الذي يهمنا هنا إلى أن القرآن الكريم أشار إلى الافتراق الحاصل سواء كان ذلك في الأمم السابقة أو في هذه الأمة ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام] ، وقد ذكر المفسرون أخباراً كثيرة في نسبة هذه الآية إلى طائفة معينة ، فقيل إن هذه الآية نزلت في حق اليهود والنصارى ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها في أهل البدع من هذه الأمة ، وعن ابن عمر أنها في

---

(١) المصدر نفسه : ٣/ ٦٩ .

حق الخوارج ، وكل هذا غير ثابت من حيث الإسناد[1] .

قال ابن كثير - بعد أن أورد هذه الأخبار - : ((والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله ، وكان مخالفاً له ، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق ، فمن اختلف فيه وكانوا شيعاً كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات))[2].

وهذا المعنى الذي ذكره ابن كثير (رحمه الله) هو الأقرب إلى معنى الآية ؛ لأن الخطاب عام ولم يأتِ تخصيص فيه ، علماً أن الله تعالى ذكر الافتراق

---

(١) تفسير الطبري : ٧/ ٢٢٩ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٢/ ١٩٧ .

الحاصل في الأمم السابقة في أكثر من آية ، منها قوله تعالى على لسان هارون (عليه السلام) : ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [الأعراف : ٩٤] فقد عبد بنو إسرائيل العجل عند غياب موسى (عليه السلام) في الطور ، رغم نصح هارون (عليه السلام) لهم وتفانيه في منعهم ، وبعد أن يأس من توبتهم رأى أن يختار أخف الضررين ، وهو أن يجمع بين الطائفتين الموحدة وعبدة العجل حتى يرجع موسى ، بدلاً أن يتركهم ويذهب فتهلك الفرقة التي عبدت العجل[1] .

(١) تفسير القرطبي : ٧/ ٢٨٩ .

الفرقة في السنة النبوية :

إن الأحاديث الواردة في التحذير من الاختلاف والافتراق الحاصل في هذه الأمة أحاديث كثيرة لا يمكن أن نحيط بها ، وإنما تحتاج إلى بحث مستقل ، ولكننا سنتناول في بحثنا هذا ما له علاقة مباشرة بالموضوع الذي نحن بصدده .

وعمده ما يورده مصنفو الملل والنحل في هذا الباب ما اصطلح على تسميته بـ (حديث الافتراق) الذي بين فيه الرسول صلى الله عليه وسلم حال الأمم السابقة وحال هذه الأمة ، وقد روي بألفاظ عديدة ، منها ما أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن**

بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟ قال ك ما أنا عليه وأصحابي))[1] ، وفي رواية أخرجها ابن ماجة عندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية قال :((**الجماعة**))[2].

ورغم أن البعض حاول أن ينتقد هذا الحديث من حيث الإسناد ، نظراً لوروده بأكثر من لفظ – منهم ابن حزم الظاهري[3] – إلا أن هذا القول

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة : رقم ٢٦٤١ .

(٢) سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم : رقم ٣٩٩٢ .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٣/ ٢٩٢ .

مردود نظراً لكثرة طرق الحديث التي يعضد بعضها بعضاً ، وقد أخرجه عدد من الأئمة ، وصححه عدد آخر ، ونظراً لأهمية هذا الحديث في بحثنا هذا فنحن نرى أن نورده باختلاف ألفاظه :

١. حديث أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بني إسرائيل تفرقت على إحدى وسبعين فرقة ، فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة ، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة ، فتهلك إحدى وسبعين وتخلص فرقة ، قالوا : يا رسول الله من تلك الفرقة ؟ قال : الجماعة الجماعة »[١] .

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٣/ ١٤٥ .

٢. حديث عوف بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار ، قيل: يا رسول الله من هم ؟ قال : الجماعة»[1].

٣. حديث أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تفترق هذه الأمة ثلاثة وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، قالوا:

---

(١) سنن ابن ماجة : ٢/ ١٣٢٢ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير : ١٨/ ٧٠ .

وما تلك الفرقة ؟ قال : من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي »[1] .

وقد ورد الحديث بألفاظ مختلفة ، وقد استعرض العجلوني طرق هذا الحديث ، ومن رواه من الصحابة، إذ أحصى ستة عشر صحابياً ، ومن طرق مختلفة[2] ، والأمر المهم هنا أن الحديث يدل دلالة قاطعة على أن الاختلاف واقع في هذه الأمة لا محالة، والنجاة منه هو التزام السنة والجماعة ، والراجح أن معناهما واحد في الحديث، إذ قوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الفرقة الناجية قال في الأولى (الجماعة) وفي الثانية : (ما كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي)،

---

(١) الطبرني ، المعجم الأوسط : ٨/ ٢٢ .

(٢) كشف الخفاء : ١/ ٣٤٦ .

ومعناهما متقارب إن لم يكن مترادف ، فمن لازم الجماعة لا بد أن يكون على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، والعكس صحيح أيضاً ، والله تعالى أعلم .

بقي أن نشير إلى أن العلماء - خاصة كتاب الملل والنحل - عدوا العدد الوارد في هذا الحديث نطاقاً لمؤلفاتهم ، وربما تعسف بعضهم في تحديد عدد فرق المسلمين بثلاث والسبعين ، دون أن يراعي تتابع الزمان ، وظهور هذه الفرق وتنوعها بتنوع الأزمان والأمكنة ، لذلك فإن العدد الوارد في الحديث ليس قطعي الدلالة بأي حال من الأحوال، ذلك أننا يمكن أن نفسر تحديد العدد المذكور في الحديث بالتكثير ؛ لأن مفهوم العدد لا يعتد به عند أهل الأصول أولاً ، وثانياً أننا نلحظ ظهور الفرق من المسلمين ومن غيرهم عبر تتالي

العصور ، وقد تعدى العدد السبعين، ويمكن أن يتأول العدد المذكور بأن أصول هذه الفرق لا تخرج عن إطار السبعين ، ثم تفرعت عنها وتعدد بمرور الوقت .

وهناك أحاديث أخرى وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يمكن الإشارة إلى بعضها ؛ لأن غرضنا هنا ليس استعراض هذه الأحاديث ، وإنما غرضنا دلالة السنة على حدوث الافتراق ، وظهور بعض الفرق :

١. حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : «كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ، قلت :

وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، فقال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ، قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك

الموت وأنت على ذلك »[1] .

٢. عن أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية ، أسمعت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا أدري ما الحرورية ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يخرج في هذه الأمة - ولم يقل منها - قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه ، فيتمارى في الفوقة هل علق بها من الدم

(١) البخاري ، الصحيح ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة : ٣٤١١ ؛ مسلم ، الصحيح ، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين : رقم ١٨٧٤ .

شيء؟))[1]. وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن هذا الحديث يشير إلى ظهور الخوارج بعد وفاته صلى الله عليه وسلم[2].

٣. حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : ((وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ووجلت منها ، القلوب فقال رجل إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً ، وإياكم

---

(١) البخاري ، الصحيح ، كتاب أحاديث الأنبياء : رقم ٣١٦٦ ؛ مسلم ، الصحيح ، كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم : رقم ١٠٦٤ . واللفظ للأخير .

(٢) ينظر : فتح الباري : ٨/ ٦٩ .

ومحدثات الأمور فإنها ضلالة ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي،وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ))[1].

٤. حديث علي رضي الله عنه قال : ((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إنها ستكون فتنة ، فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم))[2].

---

(١) الترمذي ، السنن ، كتاب العلم ، باب الأخذ بالسنة : رقم ٢٦٢٧ ؛ أبو داود ، السنن ، كتاب السنة ، باب لزوم السنة : رقم ٤٦٠٧ .

(٢) الترمذي ، السنن ، كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل القرآن : رقم ٢٩٠٦ ؛ الإمام أحمد ، المسند : ١/ ٩١.

فمجموع هذه الأحاديث يشير إلى أن الافتراق حاصل في هذه الأمة بتقدير الله تعالى ، وقد وردت بعض الأحاديث فيها تحديد لمسميات الفرق الإسلامية ، منها :

١. ظهور الخوارج ، وقد تقدم الدليل عليه في حديث أبي سعيد الخدري .
٢. ظهور القدرية ، في قوله صلى الله عليه وسلم : « القدرية مجوس هذه الأمة »[(١)] .
٣. ظهور المرجئة : فعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة

(١) أبو داود ، السنن ، كتاب السنة ، باب القدر : رقم ٤٦٩١ ؛ ابن ماجة ، كتاب المقدمة ، باب القدر : رقم ٩٢ .

والقدرية))[1] .

ومن خلال هذه الطائفة من الأحاديث النبوية يمكن القول إنها بعمومها تنبه الأمة على ضرورة الاعتصام بحبل الله تعالى ، ونبذ الفرقة والاختلاف التي تؤدي إلى التناحر والتدابر بين المسلمين ، إلا أن هذا لا يفرغ بعضها من دلالتها على المعجزة النبوية ، ولذا فإن فهم هذه الأحاديث بمجموعها يجب أن يتسم بالموضوعية للتوفيق بينها ؛ لأن ذلك يؤدي إلى حصول سوء فهم فيها ، قال عبد القادر البغدادي في هذا الخصوص : ((قد علم أصحاب المقالات أنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه من أبواب

---

(١) الترمذي ، كتاب القدر ، باب القدرية : رقم ٢١٤٩ ؛ ابن ماجة ، كتاب المقدمة ، باب الإيمان : رقم ٦٢ .

الحلال والحرام ، وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في اصول التوحيد وفي تقدير الخير والشر ، وفي شروط النبوة والرسالة وفي موالاة الصحابة ، وما جرى مجرى هذه الأبواب ؛ لأن المختلفين فيها قد كفر بعضهم بعضاً ، بخلاف النوع الأول فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه ، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف))[1] ، وهذا الرأي يعضد ما قدمناه بأن مفهوم (الفرقة) المعني هنا الاختلاف العقائدي وليس الاختلاف في باب الفروع ، وبهذا ينتهي الإشكال الحاصل في تحميل هذه الكلمة أكثر من مضمونها الحقيقي الذي استعملت فيه الأدلة الشرعية .

---

(١) الفرق بن الفرق : ص ٧ .

المبحث الثاني
الفرقة عند كتاب الملل والنحل

لقد بدأت المؤلفات حول موضوع الفرق والمقالات منذ وقت مبكر في تاريخ المسلمين ؛ نظراً لأهمية الموضوع ، وكثرة هذه الفرق والمقالات ، كما أن احتكاك المسلمين بعقائد الأديان الأخرى قد جعلتهم يدرسون هذه الأديان، ومن ثم وضع الملفات في بيانها ، سواء كانت هذه الأديان كتابية مثل اليهودية والنصرانية أم وثنية مثل البوذية والهندوسية وغيرها ، إلا أن الاهتمام الأكبر كان منصباً حول مقالات الفرق الإسلامية على اختلاف منابعها ، وسنحاول في خلال هذا المبحث التعرف على الفرقة الإسلامية عند ثلاث من أشهر علماء هذا الفن ، وهم : أبو الحسن الأشعري ، وعبد القاهر البغدادي ، وابن

حزم الظاهري ؛ لأن المقال لا يتسع لتناول كل من كتب عن هذا الموضوع .

أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) :

يعد كتابه من أوائل الكتب التي وصلتنا ، فكتابه (مقالات الإسلاميين) يعد المرجع الرئيس لكل باحث وكاتب في موضوع (الفرق الإسلامية) ، وقد بيّن الأشعري في مقدمة كتابه غرضه من تأليفه فقال: « ورأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات ، ويصنفون في النحل والديانات من بين مقصر فيما يحكيه وغالط فيما يذكره من قول مخالفيه ، ومن بين معتمد للكذب في الحكاية إرادة التشنيع على من يخالفه ، ومن بين تارك للتقصي في روايته لما يرويه من اختلاف المختلفين ، ومن بين من يضيف إلى قول مخالفيه ما

يظن أن الحجة تلزمهم به ، وليس هذا سبيل الربانيين ولا سبيل الفطناء المميزين ، فحداني ما رأيت من ذلك على شرح ما التمست شرحه من أمر المقالات ، واختصار ذلك وترك الإطالة والإكثار ، وأنا مبتدئ شرح ذلك بعون الله وقوته))[1] .

ومن خلال مقدمة الأشعري هذه يتضح أن هناك مؤلفات كثيرة في هذا الموضوع ، إلا أن الأمر المهم في هذه المؤلفات - حسب رأي الأشعري - أنها تفتقد إلى الموضوعية وهو - بما عرف عنه من شهرة علمية- سيحاول أن يصنف كتاباً في هذا الباب ، وقد جاء كتابه حافلاً يستحق منا كل ثناء.

(١) مقالات الإسلاميين : ص١ .

والأمر المهم في تقسيم الأشعري للفرق الإسلامية أنه يقسم هذه الفرق إلى عشرة أصناف ، وتعبير الصنف هنا يستعمله الأشعري للدلالة على مجموعة من الفرق التي تنتمي إلى أصل مشترك ، ولا يمكن أن نفهم ذلك إلا بالرجوع إلى هذه الأصناف وهي :

1. **الشيعة** : وهم عند الأشعري ثلاثة أصناف ، الصنف الأول هم الغلاة ، وتشكل مجموع فرق هذا الصنف : ثلاث عشرة فرقة ، والصنف الثاني هم الرافضة ، وتنقسم إلى قسمين الأول الكيسانية، ومجموع فرقها خمس فرق ، والإمامية ومجموع فرقها اثنتا عشرة

فرقة ، أما الصنف الثالث فهم الزيدية ، ومجموع فرقها ست فرق[1].

٢. **الخوارج** : ويستفتح الأشعري كلامه حول فرق الخوارج بالكلام حول مسألة التكفير التي اشتهرت بها هذه الفرقة ، ثم يعرج على ظروف ظهورها بوجه عام، وافتراق الأزارقة عنها بشكل خاص ، وكأن الأشعري أراد أن يبرز الأزارقة عن باقي فرق الخوارج نظراً لنشاطها السياسي والعسكري[2]، في حين يجعل العجاردة على خمس عشرة فرقة ، وبعد أن يذكر الأشعري فرق العجاردة ، ينتقل إلى أصل التفرق عند الخوارج: « وأصل قول

(١) مقالات الإسلاميين : ص٣٠ .

(٢) نفسه : ص٨٧ .

الخوارج إنما هو قول الأزارقة والإباضية والصفرية والنجدية وكل الأصناف سوى الأزارقة والإباضية والنجدية فإنما تفرعوا من الصفرية))[1] ، وبذلك يتبين لنا الأصول التي اعتمد هنا في تقسيم فرق الخوارج .

٣. **المرجئة** : تتخذ أصناف هذه الفرقة عند الأشعري تقسيماً آخراً يعتمد على مفهوم الإيمان عند أصحاب مقالاتها، فالتقسيم هنا على مسمى الإيمان ، وهم وفق هذا الاعتبار اثنتا عشرة فرقة، ويتخذ قولها في الإيمان أساساً لذكرها في كتابه ، وربما يكون هذا أحد الأسباب التي دفعت الأشعري لتسمية كتابه بـ

---

(١) نفسه : ص١٠١ .

(**مقالات الإسلاميين**) فالتقسيم هنا هو تقسيم مقالة لا تقسيم فرقة[1] .

٤. **المعتزلة** : من المعروف أن مدار كلام المعتزلة على التوحيد ، والأشعري عند ذكره لمقالات المعتزلة يسلك المسلك نفسه الذي اتبعه في تعداد مقالات المرجئة، فالتقسيم يأتي وفق أساس المقالات مثل: « القول في المكان ، القول في رؤية الله عز وجل، القول في علم الله عز وجل ... »[2] ، فمثلاً عند بحثه لمسألة رؤية الله عز وجل عند المعتزلة يقول الأشعري : « أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لا يرى بالأبصار ، واختلف هل يرى

---

(١) نفسه : ص١٣٢ .

(٢) نفسه : ص١٥٦ .

بالقلوب ؟ فقال أبو الهذيل وأكثر المعتزلة تقول نرى بقلوبنا ، بمعنى إنا نعلمه بقلوبنا ، وأنكر هشام الفوطي وعباد بن سليمان ذلك القول»[1]، ويسير الأشعري في استعراضه لمقالات المعتزلة وفق هذا المنهج ، حتى ينتهي من بحثها .

٥. **الجهمية** : وهي فرقة مشهورة تنسب إلى جهم بن صفوان ، واشتهرت هذه الفرقة بقولها إن الجنة والنار تفنيان ، وإن الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، والكفر هو الجهل به فقط ، ويعرفها الأشعري وفق هذا الاعتبار بمقالاتها متبعاً للمنهج نفسه الذي اتبعه مع الجهمية والمعتزلة .

---

(١) نفسه : ص١٠١ .

٦. **الضرارية** : تنسب إلى ضرار بن عمرو ، وهو من أهل الاعتزال ، لكن الأشعري يجعله مستقلاً عنهم ؛ لأنه فارق المعتزلة عندما قال : إن أعمال العباد مخلوقة ، وأشتهر عنه قوله إن معنى أن الله عالم : أنه ليس بجاهل ، وكذلك كان يقول في سائر الصفات قوله بصفة العلم(١) .

٧. **الحسينية** : تنسب إلى حسين بن محمد النجار(٢) ، ويسلك الأشعري في استعراض مقالات

---

(١) نفسه : ص٢٨١ .

(٢) كان من أشهر المجبرة ومتكلمهم وله مع النظام مجالس ومناظرات ، وذكر له ابن النديم كتباً عديدة ، مات سنة ٢٢٠هـ . الفهرست : ص ٢٢٩ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل : ١/ ١١٦ .

النجار المسلك نفسه الذي سلكه في استعراض الضرارية[1] .

٨. **البكرية** : وتنسب هذه الفرقة إلى بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد ، وكان يقول : إن الكبائر من أهل القبلة نفاق[2] ، وهذه الفرقة عدت من فرق الاعتزال أيضاً .

٩. **العامة** : وهم أصحاب الغلو من النساك - على تعبير الأشعري - الذين قالوا بالحلول والاتحاد ، حيث قالوا : إن الله جائز أن يحل في الأجساد، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً[3].

---

(١) مقالات الإسلاميين : ص ٢٨٣- ٢٨٥ .

(٢) نفسه : ص٢٨٦.

(٣) نفسه : ص٢٨٨ .

١٠. **أصحاب الحديث وأهل السنة :** هكذا يحدد الأشعري الفرقة الأخيرة في كتابه ، ثم يستعرض عقائد أهل السنة والجماعة ، ويورد أقوال أئمتهم في ذلك ، وما قاله هو عبارة عن تقرير لهذه العقيدة ، ثم قال : « هذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله »[١] . ويبدو أن ما قاله في آخر كتابه هذا هو ما كان يعتقده في أواخر حياته بعد أن ترك الاعتزال ، ومال إلى اعتقاد أصحاب الحديث.

من خلال هذا الاستعراض يمكن القول إن الأشعري في تناوله لمفهوم الفرقة كان قد حدد الإطار العام لها وفق ما اشتهرت به ، أما فيما

(١) نفسه : ص ٢٩٧ .

يخص فرق الشيعة فإنها قد أخذت تقسيماً آخر يعتمد على اسم الفرقة ، ويبدو أن السبب في استثنائه فرق الشيعة كان شيوع مسميات هذه الفرق في عصره ، علماً أنه لم يذكر بعضها ونسب اعتقادها إلى مقالاتها ، وقد ذكر مسميات هذه الفرقة فيما بعد البغدادي والشهرستاني.

عبد القاهر البغدادي :

إن مفهوم الفرقة عند عبد القاهر البغدادي يتخذ طابعاً أخراً من حيث مغزى التسمية ، إذ أن عنوان الكتاب الذي ألفه عبد القاهر البغدادي في هذا الخصوص يحمل عنوان (الفَرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية منهم) ، ونفهم من التسمية أن الكتاب بواقع الحال هو للتمييز بين فرق الإسلام المختلفة ، ومع ذلك فإن الأساس الذي

يعتمده البغدادي في تقسيمه للفرق هو حديث الافتراق ، وقد أدى هذا التحديد العددي للفرق الذي جعله في بداية كتابه إلى تقييد البغدادي به ، مما جعله ينعكس سلباً على منهجه في كتابه .

وعلى وجه العموم فإن الفرق عند البغدادي تصنف إلى صنفين ، الأولى التي تدخل تحت مسمى الإسلام ولم تخرج عن إطاره ، والثانية فرق الغلاة على اختلاف مشاربهم ، فهم قد خرجوا عن مسمى الإسلام ، ويمكن استعرض هذا تقسيم الفرق عند البغدادي وفق الآتي :

١. **الخوارج** : ويجعلها البغدادي عشرين فرقة ، وفرقها الرئيسية : المحكمة الأولى والأزرقة والنجدات والصفرية والعجاردة ، وقد افترقت هذه الأخيرة فرقاً كما أن الأباضية قد افترقت فرقاً أيضاً ، إلا أن البغدادي يجعل

اليزيدية من الإباضية والميمونية من العجاردة خارج نطاق فرق الإسلام ، فيذكرها في الغلاة[1] .

٢. **الشيعة** : وتنقسم عند البغدادي إلى أربعة أصناف هي : الزيدية والكيسانية والإمامية والغلاة ، وكل فرقة من هذه الفرق تنقسم إلى فرق عديدة[2] .

٣. **المعتزلة** : وقد افترقت على تقسيم البغدادي فيما بينها إلى عشرين فرقة ، وكل فرقة تكفر سائرها ، يضاف إليها فرقتين عدت من ضمن فرق الغلاة، وهما الحائطية والحمارية[3] .

---

(١) الفرق بين الفرق : ص ٥٥ .

(٢) نفسه : ص ٣١ .

(٣) الفرق بين الفرق : ٤١ .

٤. **المرجئة** : وهم عند البغدادي ثلاثة أصناف ، صنف منهم قال بالإرجاء في الإيمان وبالقدر، والصنف الثاني القائلون بالإرجاء وبالخبر في الأعمال وهم في قولهم هذا قريبون من أصحاب الجهم بن صفوان ، والصنف الثالث هم القدرية، وهم خمس فرق ، ولا توجد فرق من الغلاة ضمن فرق المرجئة[١].

٥. **الجهمية** : وهم أتباع الجهم بن صفوان ، الذي قال بالجبر ، وقال بحدوث كلام الله تعالى وغيرها من المقالات ، ويذكر البغدادي مع فرق الجهمية دون أن يصرح كل من الضرارية والبكرية[٢] .

---

(١) نفسه : ص١٩٠ .

(٢) نفسه : ص ١٩٥.

٦. **النجارية** : وهم أتباع محمد النجار ، وقولهم قريب من قول القدرية والمعتزلة[١] .

٧. **الكرامية** : وينسبون لمحمد بن كرام السجستاني ، وهم ثلاث فرق إلا أن البغدادي عد الكرامية فرقة واحدة ؛ لأن هذه الفرق لا يكفر بعضها بعضاً .

٨. **المشبهة** : وهم عند البغدادي صنفان : ((صنف شبهوا ذات البارى بذات غيره ، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره ، وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى))[٢].

---

(١) نفسه : ص١٩٨ .

(٢) نفسه : ص ٢١٤.

٩. **الغلاة** : وهؤلاء فرق شتى ذكرها البغدادي في آخر باب الفرق مثل الخرمية والباطنية وأصحاب التناسخ وغيرها[1] .

١٠. **الفرقة الناجية** : وهم أهل السنة .

مما مر يبدو جلياً أن تحديد البغدادي للفرق جعل لها إطاراً محدداً في كتابه حاول أن يتمه بذكره للفرق المختلفة ، فدمج بعضه ببعض عند الحاجة، مثل ما فعل في فرق الكرامية ، وحاول أن يقسمها تقسيماً آخر لتقسيم الأشعري ، وربما يكون تأخر البغدادي عن الأشعري مائة عام قد كان سبباً في وضوح رؤياه، كما أن مفهوم الفرقة عند الشهرستاني سيكون أكثر وضوحاً منه عند

---

(١) نفسه : ص٢٥٣ .

البغدادي نفسه[1].

ابن حزم الظاهري :

لقد ذكرنا أن ابن حزم الظاهري قد ذهب إلى ضعف حديث الافتراق ، ولذلك لا يعتمد عليه في نظرته للفرق الإسلامية ، وإنما تأخذ هذه الفرق مفهومها من خلال مقالاتها ومعتقداتها ، فهي عنده خمس فرق رئيسية : « أهل السنة والمعتزلة والمرجئة والشيعة والخوارج، ثم افترقت كل هذه على فرق »[2] ثم يبين بعرض سريع للمسائل الكلامية التي جعلت كُلاً من هذه الفرق تتشعب

---

(١) ينظر هند العصيمي ، عبد القادر البغدادي ومنهجه في كتاب الفرق : ص ١٠٩ .

(٢) الفصل : ٢/ ٢٥٦ .

وتتفرق إلى فرق عديدة فمعظم اختلاف أهل السنة - وهي الفرقة الرئيسية الناجية عنده - كان في الفُتيا وشيء يسير من الاعتقادات ، أما الفرق الباقية ، فإنه يُقَوِّمها على أساس قربها من أهل السنة ، ويفصل في الأمر على النحو الآتي[1] :

١. **المرجئة** : يرى ابن حزم أن أقرب فرقها إلى أهل السنة هم أصحاب أبي حنيفة[2] ، وأبعدهم أصحاب الجهم بن صفوان ومحمد بن كرام السجستاني .

---

(١) نفسه : ٢/ ٦٥ .

(٢) في قول ابن حزم هذا نظر ؛ لأن أبا حنيفة لم يكن من هذه الفرقة ، بل نسبة في الإرجاء إليه خلاف معروف، وهذه من المآخذ التي تعد على ابن حزم ، عفا الله عنا وعنه .

٢. **المعتزلة** : وأقرب فرقها إلى أهل السنة أصحاب الحسين بن محمد النجار ، وأبعدهم أصحاب أبي الهذيل العلاف .

٣. **الشيعة** : أقربها -في نظر ابن حزم - إلى أهل السنة هم أصحاب صالح بن حي الهمداني الفقيه[١] ، القائلون بأن الإمامة في ولد علي رضي الله عنه ، والثابت عن الحسين بن صالح - كما حقق ذلك ابن حزم - أنه كان يعتقد بأن الإمامة في قريش ، ويتولى جميع الصحابة، إلا أنه يفضل علياً رضي الله عنه على جميعهم، أما أبعد هذه الفرق عن أهل السنة عند ابن

---

(١) أحد فقهاء الكوفة المشهورين في عصره ، كان متكلماً بارعاً ، قال عنه الذهبي : ((فيه بدعة تشيع قليل)) ، توفى سنة ١٦٨هـ . ميزان الاعتدال : ١/ ٤٩٦ .

حزم فهم الإمامية .

٤. **الخوارج** : ويرى أن أقرب فرقها لأهل السنة هم أصحاب عبد الله بن يزيد الأباضي ، وأبعدهم الأزارقة .

إنَّ المطلع على كتاب ابن حزم (الفصل) يرى أن مفهوم الفرقة عند ابن حزم يعتمد على الاعتقاد أكثر من اعتماده على التسمية ، ولذا فإن معظم مباحث كتابه تتناول هذه الجوانب ، بعبارة أخرى ، أنها تعتمد على المباحث الكلامية أساساً لها ، وبهذا تميزت كل فرقة عن الفرقة الأخرى ، وهو في هذا يضع منهجاً واسعاً ، والهدف منه كما يبدو هو جعل مساحة البحث والعرض واسعة ، لكي تمكنه من الحركة بيسر وسهولة ، وهذه الميزة لا

نجدها في الكتب المناظرة لكتاب ابن حزم[1] .

أما فيما يخص الفرق الغالية ، فلا يجعلها ابن حزم ضمن دائرة الإسلام ، بل هي لا تحمل من الإسلام إلا الاسم ، يقول في ذلك : « وقد سمى باسم الإسلام من أجمع جميع فرق الإسلام أنه ليس مسلماً، مثل طوائف من الخوارج غلو فقالوا : إن الصلاة ركعة بالغداة وركعة بالعشي فقط ، وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات بني الأخوة وبنات بني الأخوات ، وقالوا : إن سورة يوسف ليست من القرآن ... »[2] ، فهذه الطوائف من الغلاة ، وسيفرد لها ابن حزم في نهاية

---

(١) ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية : ص ١٨٩ . (لكاتب هذا البحث) .

(٢) الفصل : ٢/ ٩٠ .

بحثه مبحثاً خاصاً يحدد فيه مقالات الغلاة ويحمل عنوان : « ذكر العظائم المخرجة إلى الكفر أو المحال من أقوال أهل البدع »[1] .

من خلال ما مر يتضح أن ابن حزم قد قسم الفرق الإسلامية إلى قسمين رئيسيتين : الفرق التي تنتمي لأهل الإسلام ، ولم تخرج عن إطاره بحثها وفق المباحث الكلامية ، والقسم الثاني : التي تنتمي لأهل ولكنها برأيه ليس من الإسلام في شيء ، وهم الغلاة.

---

(١) نفسه : ٥/ ٣٣ .

تباين مفهوم الفرقة :

لقد حاولنا فيما تقدم من هذا المبحث عرض وجهات نظر مختلفة للفرقة الإسلامية ، ولذلك ليس هناك اتفاق كبير بين العلماء في تحديد إطار عام يمكن أن تستقر عنده الفرق من حيث العدد والتكوين ، ولكننا على أي حال وجدنا أن علماء الملل والنحل يتباينون في نظرهم إلى هذه الفرق م حيث مسمياتها ، إذ أن التسمية قد تكون مدار المباحث عند تناول العلماء لفرق الشيعة - خاصة الأشعري والبغدادي - وهذا بتقديرنا نابع من وضوح التسميات التي شاعت عن فرق الشيعة ، خاصة مجموعة الفرق التي تنتمي لصنف الإمامية، كما لعبت الظروف الآنية في ذلك الوقت من اعتماد مثل هذه التقسيمات .

لكن عند العودة إلى الفرق الأخرى نلاحظ أن المباحث الكلامية قد تطغى على الفرقة نفسها ، كما في معظم مقالات المعتزلة ، ويبدو الأمر أكثر وضوحاً للمطلع على كتاب ابن حزم ، ومع ذلك فإن الفرقة بقيت في أكثر الأحيان حبيسة شخص أو مقالة ، مثل النظامية والجاحظية وغيرها ، على أن ذلك يعطينا في الوقت نفسه انطباعاً واضحاً بأن الفرقة قد بقيت حبيسة المعتقد أكثر من ارتباطها بمؤسسها أو المنسوبة له ، ولكن هذا الأمر تطور خاصة مع تباعد الزمان ، فإذا نظرنا إلى كتاب الشهرستاني نجد أن تسمية الفرقة عند تأخذ وضوحاً أكثر وأكبر ، إذ استقرت المصطلحات والمسميات ، وبدا واضحاً أن هذه الفرق قد أخذت الإطار العام لها .

وهكذا نستطيع أن نبني رؤية واضحة تحاول أن تميط اللثام عن التباين في مفهوم الفرقة ، إذ أن هذا المفهوم له إطار عام يتكون منه المعتقد ، ثم يأخذ التسمية التي له ، سواء كان من اسم مؤسسها كما في فرق الشيعة ، أو كان هذا الإطار العام يتوجه نحو المعتقد ، مثل فرق المرجئة والمشبهة وغيرها، وقد خضعت هذه التسميات لآراء العلماء أيضاً ، فاشتهوا في إطلاقها ، وحالوا إيجاد أرضية مشتركة لها .

المحتويات